مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches
And Scientific Activities
العدد الثامن
September 2023 سبتمبر

تقنية الفخار الأثري

د. المبروك عبدالله الزناتي
كلية التربية زلطن / جامعة صبراتة
www.almabrokalzanate@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول البحث دراسة مادة من المواد التي واكبت الانسان منذ فترة استقراره الى يومنا هذا، هذه المادة هي الفخار حيث تناول البحث التعريف المهني لهذه المادة والمصطلح العلمي والاهمية العلمية التي يتناولها الباحث. ومن خلالها التطرق الى طريقة التحضير والمواد المستخدمة لهذه العجينة والالية التي يتم وضع التشكيلات النوعية المرغوبة والمطلوبة لقضاء حاجة ما. يتناول البحث أيضاَ طرق الصناعة المتعددة للفخار وتطورها منذ عصر ما قبل التاريخ الى العصر الحديث مع مراحل الزخرفة المتنوعة للأواني الفخارية وانواعها المختلفة وتعدد استعمالاتها، ثم الخاتمة والتي تتناول الفائدة العلمية التي يتحصل عليها الباحث العلمي من دراسة هذا الصنف من المواد التي ارتبط وجودها مع الانسان الاول منذ مرحلة الاستقرار الى العصر الحديث في مجموعة من النقاط المهمة.

Abstract:

The research deals with the study of one of the materials that has accompanied man from the period of his stability to the present day. This material is pottery. The research dealt with the professional definition of this material, the scientific term, and the scientific importance that the researcher addresses. Through it, he discusses the method of preparation, the materials used for this dough, and the mechanism by which the desired qualitative shapes are created to fulfill a specific need. The research also deals with the various methods of making pottery and their development from the prehistoric era to the modern era, along with the various stages of decoration of pottery vessels, their different types and multiple uses, and then the conclusion, which deals with the scientific benefit that the scientific researcher obtains from studying this type of materials whose existence was linked to the first humans. From the stage of stability to the modern era, in a group of important points.

Copyright for the journal © حقوق الطبع محفوظة للمجلة

المقدمة:

منذ العصر الحجري الحديث 9000- 4500 ق.م عرف الإنسان الفخار عندما ظهرت عليه حالة الاستقرار شبه الدائم في تجمعات سكنية متألفة بعد أن كانت له دراية بالزراعة واستئناس الحيوانات حيث باشر في تصنيع معظم أدواته الخدمية من الحجارة التي كان لإنجازها مجهود عضلي كبير ووقت زمني طويل، إضافة إلى ثقل وزنها والزمن الطويل في عملية التشذيب المرافقة لها، اهتدى الإنسان بعد تجارب متكررة عدة إلى كيفية صناعة الفخار، ويبدو أن أولها كان عن طريق الصدفة البحتة عندما كان يستعمل في مادة الطين المبلل بالماء لسد بعض الثقوب في الأواني المصنعة من أغصان الاشجار، فقد لاحظ عندها أن هذه المادة عندما تتعرض للنار تزيد متانتها على عكس عندما يتم تجفيفها بواسطة أشعة الشمس، ومن هنا وجد أن الطين المحروق قد سهل عليه هذه الصناعة نظراً لتوفر مستلزماته من تراب وماء ونار، وسهلت عليه تصنيع الفخار للأشكال المتعددة حسب حاجته لها واستعماله لها في الأغراض المتعددة[1].

تدرجت صناعة الفخار وتقنيات تشكيله شيئا فشيئا من الأساليب البسيطة إلى التطور الكبير الذي حدث في العصور اللاحقة، ومن خلال أشكال الأواني الفخارية المختلفة ومتعددة الأغراض توصل الفنان إلى إضافة بعض اللمسات التي كانت لها تأثير كبير عليها من حيث الشكل العام والجانب الخدمي، فكان الفاخوري يطليها بمادة مشتقة من نفس العجينة بحيث تكون أكثر قتامة من العجينة نفسها، وذلك لأجل إخفاء العيوب الظاهرة منها قدر الإمكان، كما توصل فيما بعد إلى طلائها ببعض الأكاسيد التي تضمن صلاحيتها في حفظ المواد السائلة، ثم اهتدى إلى تشكيل بعض الزخارف على السطح الخارجي أضيفت إلى المنظر العام، وذلك لإرضاء ذوق المستعمل، وقد ساعدت العلاقات التجارية المتبادلة بين الحضارات المختلفة في حوض المتوسط، وهجرة الأيدي العاملة الفنية من مدينة إلى أخرى إلى تطور هذه الصناعات في مختلف مجالاتها بشكل عام وانتاج الفخار بشكل خاص، فالتنوع الوظيفي في الأشكال الفخارية هو انعكاس للتنوع في الممارسات الاقتصادية التي يمارسها المجتمع (مثال على ذلك التنوع في الأواني الفخارية لدى المجتمعات الزراعية مقارنة مع المجتمعات الرعوية).

وقد كان من نتاج هذا التوجه الجديد ظهور منهج نظري يعتمد على المدرسة البيئية اصبح يعرف باسم "الدراسات الفخارية التي تهدف ليس فقط إلى تقديم وصف لمراحل إنتاج الآنية " ceramic ecology" البيئية"، أو الفخارية، بل تعدت ذلك لتشمل وظيفة الإناء وكيفية استخدامه وعلاقته الوظيفية مع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية؛ لذا استحوذ هذا النوع من المادة الثقافية على اهتمام الآثاريين لكونه يعكس بطريقة أو بأخرى جوانب سلوكية مختلفة للمجتمعات في الماضي، هذا التنوع المعرفي الذي يمكن استنتاجه من دراسة الفخار نابع من المعادلة بان الفخار كمادة يمثل المرحلة الانتاجية النهائية التي هي نتاج للتفاعل ما بين المادة الخام والثقافة والتقنية. فهذه الجوانب الثلاثة شكلت عبر المراحل المختلفة لعلم الآثار موضوعات للدراسة والمناقشة[2].

التعريف والأهمية

يُعرّف الفخار في اللغة العربية على أنه كل الأواني التي تُصنع من مادة الطين ثم توضع في الفرن الساخن ليتم شيها بالنار ومن ثم يصبح اصطلاحا فخاراً، والخزف على قول أحد الباحثين هو مجموعة من الجرار (جمع جرة) أي ما يبيعه الخزّاف، أما الفخار فمُعرّف لغويا على أنه الجرار أو الخزف تعمل منه الجرار وغيرها والصلصال هو المادة التي لها خاصية اللازبة، أما الفخار فهو المادة الجديدة الناتجة عن حرق الصلصال، والطين هو المادة الأساسية التي تدخل في صناعة الفخار[3].

أما التعريف الاصطلاحي للفخار هو كل آنية صنعت من طين وتم شيها في النار، والخزف يقصد به كل آنية فخارية تم تزجيجها أو طلاؤها بأصباغ ملونة لإكساب جمالاً ولمعاناً، وهذا هو الاختلاف بين الفخار والخزف عند بعض الباحثين. ويختلف تعريف الفخار عن الخزف عند الباحثين فالبعض يرى أن تسمية الفخار تشكل منتجاته من عجينة طبيعية بحتة بعد تعريضها لتجفيف بالنار، أما الخزف فتشكل منتجاته من عجينة اصطناعية يتم إضافة بعض من مكوناتها بشوائب ويضاف لها من مركبات تزيد من صلابتها وجودتها مثل الرمل.

الأهمية:

إن الأدوات المصنوعة من الفخار سهلة الكسر على عكس الأدوات التي من المعدن أو الحجر، وما يكسر منها لا يتم ترميمه خاصة ذو القيمة المتواضعة بل يترك مهملاً، ولما كان

الفخار سواء السليم أو المُفتت يحفظ جيداً في الارض دون ان يتأثر بعامل الزمن فإن معظم هذه الحالات تتيح دراسة أشكال الفخار وزخارفه وتأريخ طبقات الموقع الأثري، فخبير الآثار الذي يعثر على كسرة فخارية قادر أن يحدد من خلالها العصر الذي جاءت منه ابتداء من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الحديثة، ولكن نظراً لوجد ألاف الأنواع والأشكال من الأواني الفخارية والزخارف التي تحملها فقد يلجئ عالم الآثار إلى عالم متخصص في فخاريات عصر بعينه أو منطقة معينة أو إلى مرجع يحوي جميع أنواع الفخار التي أنتجتها حضارة في عصر معين ومكان محدد، كما يمكن لعالم الآثار أن يؤرخ الكسرة من خلال نوع الصلصال حيث يحدد المتخصص الذي يحلل عجين الصلصال المكون منه الفخار هذه الخامات ونسبها وبناء على ذلك يحدد المكان الذي استجلب منه الصلصال،وتعتبر منجماً حقيقياً للمعلومات تساعد خبراء الآثار على تحديد زمن هذه الأواني في حياة الإنسان لتلك العصور وهنا تكمن اهمية دراسة الفخار[4].

تقنية الصناعة:

عند إحضار الطين من محاجر تواجده يقوم العامل المهني بجمعه داخل أحواض ثم يضاف إليه كمية من الماء حيث يتشبع بهذه المياه، ثم يجمعها على شكل كتلة دائرية، ثم يقوم بخلطها ببعض بواسطة آلة يدوية (الجاروف)، أو برفسها بالرجلين حتى تصبح العجينة مرنة سهلة التشكيل، هذه التقنية كانت معروفة لدى جميع الشعوب الحضارية وفق الخطوات الآتية:

1- إعداد العجينة

يوجد الطين في شكل محاجر أو مقاطع تعرف بالصلصال، وهناك نوعان من هذه المقاطع حيث نجد مقاطع على سطح الأرض ومقاطع تحت سطحها، يجمع الصلصال في شكل كتل وتنشر في أماكن مفتوحة لتنقيتها من الشوائب العالقة بها حتى يتم الحصول على صلصال متجانس صافي وخالي من الشوائب، وفي الواقع ليس هناك نوع واحد من الصلصال ولكن هناك أنواع متعددة وكثيرة، ويختلف كل نوع من الصلصال عن الآخر وفقاً للمكان الذي جلب منه ووفقاً للخامات التي يتكون منها، ويحدد المتخصص الذي

يحلل العجين المكون منه الفخار هذه الخامات ونسبها، وبناء على ذلك يحدد المكان الذي جاء منه الصلصال، وغالبا ما تكون الورش التي تصنع فيها الأواني على مقربة من المكان الذي يستخرج منه الصلصال، ثم يتم بعد ذلك نشره تحت أشعة الشمس حتى يتم تجفيفه من الرطوبة، ثم يتم دهسه وتفتيته إلى قطع صغيرة، ويتم تنقيته من الشوائب العالقة ثم توضع بعد ذلك في حفرة ويسكب عليها الماء، بذلك يتم الحصول على صلصال لزج كثير التمطيط والسيلان بعد إضافة بعض المعادلات فيصبح عجينة متماسكة لا تلتصق باليدين وتكون سهلة التشكيل وسهلة التجفيف والحرق ويتم منها قطعة فخارية متماسكة وصلبة[5].

2- التشكيل باليد

هذه التقنية كانت تستعمل قديماً في العصر الحجري الحديث وهي طريقة بدائية نوعا ما وخالية من أي مهارة، فالحرفي يقوم بالضغط على العجينة بأصابعه ليشكل الإناء المطلوب، ومعظم تلك الأواني تمثلت فيما يناسب احتياجات الإنسان اليومية (شكل 2)، كما توجد طريقة أخرى يتم تشكيل الآنية بها وهي عن طريق اشرطة لولبية من الطين يتم وضع كل شريط على الآخر تلف لولبيا وتأخذ شكل الحلقات المتتالية ثم تنعم الأسطح الداخلية والخارجية بأصابع اليد لتكون الآنية (شكل3).

(شكل 2)

(شكل 3)

ولقد كان هذا الفخار حسب أراء المؤرخين من صنع السكان المحليين والأصليين، وكانت النساء هي التي تصنع الفخار بيدها واستمرت هذه التقنية حتى الربع الأول حتى القرن السابع ق.م.

3- التشكيل بالدولاب أو العجلة

ويمكن التكهن بكيفية التوصل إلى اختراع العجلة، وذلك بأن الفاخوري عندما وجد سهولة في تصنيع الأواني عن طرق تدويره قام في مرحلة لاحقة بوضع قطعتن من الحجر فوق بعضهم بعضا فنتج عن ذلك نوع من الدوران غير المتزن ثم في مرحلة أخرى لاحقة توصل الفاخوري إلى

وضع قضيب مداري بين الحجرين حتى يمنع الجزء العلوي من الانزلاق، هذا وتتكون العجلة من ثلاثة أجزاء رئيسية كل جزء منفصل بذاته في العجلة المركبة (الدولاب) وهي:

أ- الجزء العلوي: هو الجزء الذي توضع عليه عجينة الصلصال، وفي بعض الأحيان تكون هي أيضا قرص التدوير، وذلك إذا ما كانت ثقيلة إلى الحد الذي يسمح لها بإيجاد قوة طرد مركزية وهذه الحالة دائما ما تكون في العجلة البسيطة السريعة.

ب-قرص التدوير: هو الجزء الدائري الثقيل الذي إذا وصل إلى معدل قوة الدفع فإنه ينتج حركة دائرية مستمرة، وهذا الجزء يدور باليد في العجلة البسيطة، وبالقدم في العجلة المركبة (الدولاب).

ج-المحور: أو القضيب المداري وهو الجزء الذي يعمل -بمساعدة معدل التشحيم- على تمكين العجلة من الدوران وأحيانا ما يشكل هذا الجزء نتوءاً في رأس العجلة وأحيانا ما يكون منفصل بذاته، حيث يوجد بن رأس العجلة وقرص التدوير حتى يسمح بنقل الحركة بينهم.

وبفضل تشابك حضارات البحر المتوسط تجارياً استطاع الإنسان القديم اكتشاف تقنية جديدة لصناعة الفخار بالعجلة أو الدولاب استخدمت هذه الآلة منذ القدم وكان السومريون في بلاد ما بين النهرين هم أوّلَ من استخدم هذه الآلة خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد[7]، وقد مر الدولاب بمراحل تطورية مختلفة من عجلة بطيئة إلى دولاب أسرع وعلى الرغم من التقدم العلمي في الدواليب الحديثة فأن الكثير من المشتغلين بصناعة الفخار والخزف يفضلون استخدام الدولاب ذو القرصين الذي يتآلف من قرصين من الخشب يربط بينهما محور عمودي يقوم بنقل عملية الدوران من القرص السفلي نتيجة حركة القدم عليه للقرص العلوي الذي توضع عليه العجينة الفخارية ويقوم الفاخوري بإحداث تجويف في وسط العجينة ثم البدء في رفع حواف الآنية المراد تصنيعها.

(شكل 4)
صورة توضح الشكل العام لعجلة الفخار "الدولاب"

4- التشكيل بالقالب

يصنع القالب هو الآخر قديماً من الفخار أو الجبس أو المعدن، وهو عبارة عن قطعتين أو أكثر تأخذ شكلا معينا للآنية المصنعة وزخرفة المعدة لها، ويقوم بطلائه من الداخل بمادة عازلة مثل الشحوم أو الزيوت بحيث لا يلتصق به الصلصال، ثم توضع فيه مقدار من العجينة حسب حجم القطعة المراد تصنيعها، وغالبا ما تكون العجينة رخوة ثم يتم الضغط عليها باليدين وبأدوات الكبس حتى تأخذ شكل القالب، ثم توضع الأواني بعد إخراجها وتشذيب الأطراق في الشمس حتى تجف كليا، لتأتي بعدها المرحلة الأخيرة التي يتم فيها وضع الأواني في الفرن لشيها أو حرقها ليتم التحصيل على أواني متماسكة وصلبة صالحة للاستعمال، هذه الطريقة خصصها الحرفيين لصناعة التماثيل الصغيرة والخزفيات المزخرفة والمصابيح والصحون حيث أستعمل الحرفي قوالب لصناعة هذه المصنوعات **شكل5 (أ-ب-ج)**.

شكل5 (أ)

شكل5 (ب)

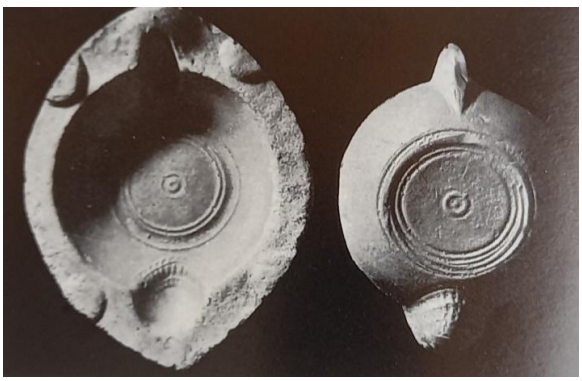

شكل5 (ج)

5- مرحلة التجفيف والشي

أ- مرحلة التجفيف:

تجفيف الفخاريات عند البداية لا يسمح بوضعها في الهواء الطلق أو تحت أشعة الشمس بل توضع في مخازن باردة ورطبة تكون درجة حرارتها معتدلة من أجل إخراج الماء الذي كان في جسم الآنية نتيجة استعماله خلال عملية التشكيل التي مرت بها، وخصوصا إن كان بهذه الآنية أجزاء مضافة مثل المقابض أوالمصب أو القاعدة، كلا الطريقتين تعرض العجينة إلى الالتواء والتشقق، ولكن بعد أن تجف هذه الأواني جفافاً مناسباً يسمح بنقلها إلى مكان في الهواء الطلق أو تحت أشعة الشمس، وبما أن الأواني الفخارية تختلف عن بعضها بعضا من حيث الشكل والسمك فهي تختلف في الزمن الذي تحتاجه لتجف نهائياً، حيث نجد أن الصحون المفتوحة تحتاج إلى وقت قصير للتجفيف ولكنها معرضة دون غيرها للالتواء خاصة عند عملية النقل عكس الأواني المغلقة مثل الجرار والأباريق والقدور فأنها سهلة النقل وتحتاج إلى زمن أطول حتى يتم تجفيفها.

ب- مرحلة الشي أو الحرق:

تعتبر مرحلة الحرق هي العملية الأساسية في صنع الفخار، حيث تضفي عليه صفة الصلابة التي تمكن من استعماله فيما بعد في مختلف الأغراض، وتتم عملية الحرق داخل فرن الذي يكون غالباً بالقرب أو داخل مركز مشغل أو ورشة صناعة الفخار، ويتكون هذا الفرن من قسمين يفصل بينهما حاجز به ثقوب تنفذ منها الحرارة من القسم السفلي الذي يعرف باسم الموقد إلى القسم العلوي الذي يعرف باسم بيت الطبخ أو المحرق الذي يتم فيه ترصيف الأواني الفخارية لشيها.

وقد تظهر بعض التغيرات على الطبقة الخارجية للإناء كتغيير اللون وذلك راجع إلى نسب درجات الحرارة في الفرن أو مرور غاز ثان أكسيد الكربون أو عدم إحكام غلق أبواب الأفران أو عدم تعديل الحرارة في كل أنحاء الفرن لأن أداة التسخين المستعملة كانت يدوية ومن الحطب.

إن درجة الحرارة هي التي تعطي الإناء قوة الصلابة، ولا يكون إناء الفخار متمسكا إلا بعد درجة حرارة (500°) درجة وبارتفاع درجة الحرارة يتم تجفيف الماء من الجزئيات، ولكن هذه الدرجة لا تعتبر النهائية بل وجد فخار وصلت درجة حرارة حرقه في الفرن إلى درجة (1150 -1100).

وارتفاع درجة الحرارة يرجع إلى إحكام قفل الأفران، وكذلك حجم الفرن من حيث الاتساع في المساحة

سوى كبرها وصغرها،وبهذا التحكم في درجة الحرارة، يكونسبباً في تشكيل وجود الألوان المتباينة وأحياناقدنجدإناءعليهعدة ألوان وهذاراجع إلى وضعيته فيالفرن وتعرضه لدرجة الحرارة أقل أو أكثر.

6- مرحلة الزخرفة

إن التصاميم الزخرفية المنفذة على الأواني الفخارية كانت محط اهتمام الآثاريين من أجل الوصول إلى التسلسل التاريخي (chronology) لجانبين معرفيين حول الماضي، الجانب الأول يتعلق بالتأريخ للطبقات الأثرية، أما الجانب الآخر فيتمثل في تحديد التوزيع المكاني لهذه الزخارف، لقد أُعيد الاهتمام بدراسة التصاميم المنفذة على الأواني الفخارية لتأخذ منحنى آخر يرتكز على الأهمية المعرفية المرتبطة بتحليل الجانب الزخرفي المنفذ على الأواني للوصول إلى نتائج تتعلق بالنظم الاجتماعية أو الفكرية وحتى التي تتعلق بالجانب السياسي، هذا الجانب المعرفي يستمد من الافتراض بأن الزخرفة مجموعة من الأفكار يمكن تعلمها، بمعنى آخر يمكن القول بأن عملية التنفيذ للتصاميم الزخرفية سلوك متعلم (وليس مكتسبا) ينتقل من المعلم إلى الطالب أو من السيد إلى الخادم أو من الأم إلى ابنتها أو من الأب إلى ابنه؛ لذا فإن المعلومات المستمدة من دراسة الزخارف تزودنا بمعلومات تتعلق بالحياة الاجتماعية للمجتمع، والاختلافات الطبقية ضمن المجتمع الواحد، هذا الجانب وبالرغم من إثباته في بعض الدراسات الأنثروكيولوجية فإنه ما زال محط جدل واسع بين الباحثين، وكذلك النقد الآخر بأن بعض العناصر الزخرفية تنتقل وتستخدم من قبل من جانب آخر لعلّ هنالك أسبابا أخرى لها دور في هذا التنوع الزخرفي لدى مجموعات بشرية مختلفة مثل تلك المرتبطة بالفرد مثل المهارة أو العامل وأن مستوى الإنتاج وكثافته كذلك يمكن أن يؤدي بالصانع إلى ممارسة نمط زخرفي لتلبية احتياجات المستهلك ورغباته دون ان يكون ذلك النمط موظف على نحو مقصود ليعكس انتماء محدداماامدىاستخدامالزخرفة لتعكس التفاوت الاجتماعي فيتم ذلك من خلال تبني طبقة اجتماعية مثل النبلاء نمطا مختلفا عن باقي الطبقات الأخرى، فالأواني والزخرفة المنفذة عليها، يفترض بانها استخدمت على نحو مقصود لإظهار التفاوت وبعضهم قد يربط ما بين النمط الزخرفي وكيفية التعبير الممتع خاصة اذا تم استخدام الزخرفة من طبقة أدنى في المجتمع، فتحاول طبقة النبلاء هنا ابتكار نمط زخرفي جديد مما يؤدي إلى التغير في الأنماط الزخرفية[8].

أنواع الزخرفة:

1-الزخرفة **بالحز**

بعد تشكيل الآنية بالدولاب أو بأي طريقة صناعية تترك لتجف جفاف نسبي ويبدأ الفخراني بعمل حزوز على بدن الآنية مستعملا أداة حادة ذات خط منكسر مجوف من القصب أو العظام، وتتمثل الزخارف المحززة عادة في زخارف هندسية التي هي عبارة عن شبكة من الخطوط العمودية والأفقية والمنكسرة والمائلة أو الدائرية.

2-الزخرفة **بالحفر**

وهي تشبه الزخرفة بالحز، لكنها تنفذ بواسطة أداة معدنية قاطعة (منقش)، فيرسم خط أكثر عرضا وأقل عمقا وتكون الزخارف غائرة الزخرفة بالتفريغ (التخريم)، ويقوم الفنان برسم زخرفة على الورق، ويطبقها على سطح الخارجي الآنية، ثم يقوم بكشط الجزء المحيط بالزخرفة فتبدو بارزة، أو يقوم بتفريغ محتوى الزخرفة فتظهر غائرة.

3-الزخرفة **بالطابع**

تعتمد هذه التقنية على الطابع أو القالب يحمل عناصر زخرفية متنوعة على جداره بحيث يقوم الصانع بضغط العجينة عليه ثم يترك الطابع، فإذا كانت الزخرفة غائرة في القالب تنتج على الآنية زخرفة بارزة، وإذا كانت الزخرفة بارزة في القالب تنتج غائر على القطعة.

على اية حال، ان الدراسات الفخارية بينت على مدى الاعتماد على المفهوم الاجتماعي للتقنية في تبيان أسباب التنوع المتواضع في المادة الثقافية، وأن التنوع في العمليات المنفذة خلال مراحل التصنيع المختلفة يمكن تزويدنا بمعلومات ثقافية حول الصانع، ومن ثَم المجموعة البشرية التي ولا بد من الإشارة هنا إلى أن استخدام مصطلح المجموعة البشرية وإنما المقصود به مجموعة من الناس، ليس مرادفا لمصطلح العرق البشري اختارت العيش معا ضمن حيز مكاني ما، فأكثر من مجموعة بشرية يمكن أن تمتاز بخصائص ثقافية مشتركة، ولكن يمكن تمييز إنتاج كل منها حسب طبيعة العمليات المنفذة في الإنتاج.

أنواع الفخار:

ينقسم الفخار إلى قسمين:

1- الفخار الرفيع.

2- الفخار الخشن.

1- الفخار الرفيع / يعتبر من أجود أنواع الفخار في العالم وغالبا ما يكون مصقولا من الداخل والخارج وتتم صناعته بكميات كثيرة وليست يدوية بل عن طريق قوالب معدة لهذا الغرض حيث يتم وضع قطعة من عجين التربة داخل أحد النماذج المرغوب فيها ثم تجفف وتوضع داخل الفرن بعد ذلك، انتشرت العديد من المصانع الخاصة ذات المكان المحدد والمعروف في المدينة، وفي بعض الأحيان يتم التعرف على هوية من قام بصناعة هذه الأواني حيث وجد العديد من أختام الصناع على قواعد ومقابض هذه الأواني، وهذا النوع من الفخار يتم تحديد تاريخ صناعته بدقة، وهو غالبا جميل الشكل والمظهر، واستعمالاته مختلفة، وأماكن ازدهاره متعددة بحوض المتوسط ، ومسمياته المختلفة لدى علماء الآثار.

2- الفخار الخشن / من خلال هذه التسمية يكون ذو ملمس خشن وغير ناعم ولم تراعَ فيه عملية الغربلة الجيدة وحذف الشوائب العالقة به مع استعمال التربة ذات الحبيبات الخشنة وقد يضاف إليه بعض المواد لزيادة الحجم والتماسك، وتتم صناعته لغرض الاستعمال اليومي الدائم والمستمر نظرة لقلة تكلفته أسوة بالفخار الرفيع والفخار الخشن يقسم إلى مجموعتين:

أ - مجموعة الأواني المغلقة.

ب - ومجموعة الأواني المفتوحة.

والمقصود بالأواني المغلقة هي الأواني التي لها رقبة وفوهة ويمكن إقفالها كلما دعت الحاجة لذلك. إما الأواني المفتوحة فالمقصود بها تلك الأواني التي يكون قطرها اكبر من ارتفاعها وهي مفتوحة كما انها ليست لها رقبة وفوهة ، وقد صنعت من الفخار الخشن الأواني كبيرة الحجم والتي تتحمل مشقة التنقل والانتقال من مكان إلى آخر، ويتم تصنيعه يدويا عن طريق دولاب (عجلة) يدار باليد أو بالقدم يطلق عليه اسم (عجلة الفاخوري أو صانع الفخار)، وعليه فلا نستطيع تحديد تاريخا معينا ومحددا له كقرينه الفخار الرفيع، ومع ذلك فأنه على درجة من

الأهمية لدراسة التاريخ الاقتصادي، فالجرار الكبيرة التي تصنع في العادة من الفخار الخشن وتستعمل للتخزين وحفظ السوائل أو لتسويق الموجود بداخلها إلى أماكن أخرى بعيدة، ولهذا فأن الدراسة الدقيقة للجرار قد تعدت الدراسة التخصصية للفخار لوحده، وإنما تشمل هذه الدراسة تجارة الزيت والفخار والخمر[9].

والفخار الخشن هو المادة التي تصنع منها الأدوات لغرض الاستعمال اليومي مثل أواني الطهي كالقدور والأواني الأكل مثل الصحون وأواني التخزين والتجارة مثل الجرار.

وجميع هذه الأواني كانت تجلب من مناطق بعيدة أو قريبة حسب محاجر الطينة الفخارية وعلى فترات مختلفة حسب العصور الزمنية، وعليه يجب أن تتبع الأسباب والأغراض الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على صناعة الفخار، كما إن الفخار المصنع محليا أي داخل منطقة الاستيطان لا يحدد الفترة الزمنية لاستعماله فحسب بل يساعد على معرفة التأثيرات الحضارية والازدهار الاقتصادي.

ولدراسة هذا الصنف من الفخار الخشن يجب علينا إجراء عملية التصنيف والفرز لمعرفة أن هذا الفخار قد ورد مستوردا من الخارج أو انه من الفخار المصنع محليا.

ويتضح ذلك من خلال دراسة تصنيف الشكل العام الخارجي لأواني الفخارية كأواني الطهي (القدور) والصحون والجرار على اختلاف أشكالها وأحجامها.

إن إجراء عملية التحليل التي تتم للمادة الصناعة وهي الطين الذي صنعت منه هذه الأواني الفخارية، يتم التعرف وتحديد الموطن الأصلي أي مكان تواجد هذه التربة التي صنعت منها الأواني الفخارية المستوردة أو الأواني الفخارية المصنعة محليا ومن خلال ذلك يتم التعرف على حجم العلاقات التجارية بين مدينة وأخرى وحجم التجارة السائدة وأصنافها[10].

مصنوعات الفخار الخشن:

1-الجرار (الامفوراء Amphora) على أحجامها المختلفة التي تستعمل لنقل السوائل أو أغراض اقتصادية أخرى.

2-أواني الطبخ التي صنعت خصيصا للطهي التي تكون في العادة حوافها رفيعة، وقد ترك عليها لهيب النار لوناً أسودا من دخان الحطب وهي بمقابض وبغير مقابض[11].

3-أواني فخارية بسيطة مثل الجرار الصغيرة الخاصة بالسوائل وإطباق وصحون لتحضير الأكل وهي من الأنواع التي لاتصل إليها لهيب النار.

4-الأباريق وهي الأواني التي لها مقبض واحد تستعمل لسكب السوائل مثل الماء والزيت .

من خلال نظرتنا إلى هذه المجموعات الأربعة من الأواني الفخارية على مختلف أشكالها نتمكن من دراسة وتحدد التاريخ الزمني لها ومعرفة فتراتها التاريخية التي ينتمي إليها.

الخلاصة:

كان للأواني الفخارية منذ بداية الاهتمام على نحو علمي ومنظم بالماضي دور مهم في التعرف عن بعض سلوكيات الإنسان، فتقنية التصنيع والزخارف المنفذة على الأواني وظفتا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في محاولة الوصول إلى سلم التطور والرقي للمجتمعات، أو إلى بيان طبيعة العلاقات بين المجموعات البشرية المختلفة، إلا أن البداية المنظمة لعلم الآثار وخاصة ظهور الدراسات الأنثروبولوجيا والدراسات الأثرية بينت مدى التنوع في السلوك الإنساني الذي يمكن أن ينتج مادة ثقافية مشابهة، مما حدا بالعديد من الباحثين إلى الاهتمام بدراسة التنوع السلوكي والابتعاد عن الإسقاط الاستنتاجي على المادة الأثرية الذي يؤدي إلى عدم الدقة في فهم الماضي، فالأواني الفخارية لها دورة حياة تبدا من مرحلة جمع المادة الخام إلى مرحلة الإنتاج النهائي ثم مرحلة العثور عليها، فالسجل الأثري، وفي كل مرحلة من هذه المراحل هنالك العديد من العوامل التي تؤثر في الانتاج متمثلة في جوانب بيئية وأخرى ثقافية متنوعة، مما يتطلب دراسة المحتوى التنظيمي للإنتاج ومعرفة الأسباب الكامنة وراء ظهور وحدات إنتاجية محددة داخل المجتمع ومحتواها الاجتماعي والاقتصادي[12]، هذا المحتوى المرتبط بالإنتاج الذي يعد مهما إذا أراد الباحث الأثري الوصول إلى استنتاجات حول المجتمع الذي انتج نوعاً محدداً من الأواني الفخارية. فعلى سبيل المثال فالربط ما بين ظهور نوع جديد من الأواني أو التنوع في طبيعة الأواني ضمن حقبة زمنية محددة لا يعني على نحو مباشر الاختلاف، فربط التغير مع العوامل الخارجية (مثل الهجرات البشرية) لم يعد عاملاً كافياً للوصول إلى توضيح حول أسباب التنوع أو التغير في إنتاج الأواني الفخارية على العكس من ذلك، ان تحديد العوامل الثقافية الداخلية والأسباب التي أدت إلى تغيرها يعتبر بداية صحيحة لتفسير التنوع في الأواني الفخارية

فالمجتمع ليس محتوى جامدا متلقيا للتغير من الخارج فقط، وإنما نظام ديناميكي متغير داخليا ليلبي حاجات جديدة للأفراد والمجتمع.

المنتجات الفخارية تعتبر دليلاً هاما وجوهريا لدراسة الحضارات السابقة، وذلك بدراسة الأنواع والأشكال المختلفة للأواني الفخارية ومنها توصل علماء الآثار إلى النتائج الآتية:

1- معرفة العصر التاريخي الذي عاشت فيه تلك الشعوب وحركة انتقالها من منطقة سكنية إلى منطقة سكنية أخرى.

2- معرفة مدى قوة الارتباط في العلاقات الإنسانية بين منطقة وأخرى، من خلال الحركة التجارية الرابطة بينهما، وكذلك حركة انتقال الخبرة الحرفية من الأيدي العاملة الفنية.

3- دراسة الأواني الفخارية تفيد الباحث في تحديد الفترات الزمنية والتاريخية في حياة الشعوب ، وذلك ومن خلال معرفة تاريخ الأواني الفخارية أينما وجدت مثل التي كان يضعها أقرباء الميت مع فقيدهم في مدافنهم أو في قبورهم نظر لاعتقادهم في الحياة البعثية للميت أي أنه يقوم للحياة من جديد بعد وفاته ومن ثم يباشر في استعمال أدواته كما كان في زمن حياته [13]، و من خلال دراسة هذه الأواني الفخارية الموضوعة مع المتوفي من حيث الشكل العام والنوع يتم تدوين فكرة عامة على المستوى التقني والفني للعصر الذي تعود إليه الآنية.

4- الفخار يعتبر أداة للتأريخ وعن طريقه يتم التعرف عن الأساليب الفنية والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة في تلك الآونة، وذلك من خلال ما كان يرسم ويدون من أساطير على الأواني الفخارية أو معتقدات السائدة لديهم من خلال رسومات وجوه الآلهة.

5- يعتبر الفخار أحد عوامل الاستقرار في المجتمع ويقدم لنا صورة عن الهيكل الثقافي العام لذلك الأمة الإنسانية التي عاشت حقبة زمنية معينة كما يتم ابراز الجانب التقني للحرفي.

6- من خلال أسلوب الصناعة السائد والمستوى الفني للفنان بين فترة وأخرى ومن خلال دراسة تسلسل الطبقات الارضية تتضح لنا فكرة عن النمط الثقافي الذي كان سائداً في ذلك الزمن.

7- الفخار من المقتنيات الأثرية التي تعطينا صورة كاملة عن الثقافات القديمة إلى الوقت الحاضر لأنها المادة الوحيدة التي تمتاز بمقاومة العوامل الزمنية .

الهوامش:

1- المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 6، العدد،3 لسنة2012، ص125

2- فرنسيس ديولافيه صديق الآثار ترجمة، هيثم خشبة الإسكندرية 2008ص122

3- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص462

4- فرنسيس ديولافيه، صديق الآثار، ت هيثم خشبة، الإسكندرية 2008ص126

5- محمود النمسي، محمود أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1977، ص196

6- فرنسيس ديولافيه صديق الآثار ت، هيثم خشبة، الإسكندرية 2008

7- د. سامي سعيد الأحمدي، السومريون، وزارة الثقافة، بغداد1990، ص45

8- ريختر، جيزيلا: مقدمة في الفن الإغريقي، ترجمة: جمال الحرامي، الرياض، 1974ص432

9- أحمد محمد انديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاثة، الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1993م ص186

10-محمود عبد العزيز النمس، دليل منطقة حفائر جنزور، مصلحة الآثار، طرابلس، 1980، ص18

11- خالد عبد الله الهدار، دراسة القبور الفردية توكرة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2006 ص421

12- ليبيا القديمة الملحق الخامس، المجلد الثالث /الجزء الأول ص7

13- أبو حامد محمود الصديق، محمود عبد العزيز النمسي، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي، دار العربية، طرابلس1978، ص61

المراجع:

اولا: الكتب

1- أحمد محمد انديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاثة، الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1993م

2- أبو حامد محمود الصديق، محمود عبد العزيز النمسي، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي، دار العربية، طرابلس1978

3- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008

4- خالد عبد الله الهدار، دراسة القبور الفردية توكرة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2006

5- ريختر، جيزيلا: مقدمة في الفن الإغريقي، ترجمة: جمال الحرامي، الرياض، 1974

6- سامي سعيد الأحمدي، السومريون، وزارة الثقافة، بغداد1990

7- فرنسيس ديولافيه صديق الآثار ترجمة، هيثم خشبة الإسكندرية 2008

8- محمود النمسي، محمود أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1977

9- محمود عبد العزيز النمس، دليل منطقة حفائر جنزور، مصلحة الآثار، طرابلس، 1980

ثانيا: المجلات

10- المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 6، العدد،3 لسنة2012

11- ليبيا القديمة الملحق الخامس، المجلد الثالث /الجزء الأول